والسلطة والحق؛ فالحكومة المصرية هي المالك؛ والحكومة البريطانية تملك السلطة، والحكومة التركية تملك الحق»[٣٠].

ولم تنجح اتصالات هرتسل مع صاحب الحق للحصول على «امتياز» لتنفيذ مشروعه. وكان عليه ان يركز على صاحب السلطة، الذي سيؤثر، بدوره، في صاحب الملكية، كما تصور، فكثف نشاطه في علاقته بالحكومة البريطانية، وساعده في ذلك أثرياء وزعماء اليهود. وقد نجح في استمالة السلطة في لندن، خاصة وزيري المستعمرات والخارجية، وقد عوّلا على موقف المعتمد البريطاني، اللورد كرومر، كثيراً. فقد أخبر تشامبرلن هرتسل بأن السلطة البريطانية «تحترم رأيه كثيراً».

مندوب هرتسل في القاهرة

وفي حوار هرتسل مع وزير الخارجية، لانسدون، قال له: «هناك أراضٍ خالية في العريش وسيناء، تستطيع بريطانيا ان تعطينا إياها، ويكون لها بدل ذلك زيادة في قوتها وولاء عشرة ملايين يهودي. سأله هرتسل: هل تقبل بأن نقيم مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء؟ أجاب لانسدون: نعم، اذا رضي اللورد كرومر بذلك»[٣١].

وأبدى لانسدون استعداده لأن يعطي رسالة تقديم الى مندوب هرتسل الذي سيذهب للقاء اللورد كرومر؛ وكان المندوب هو ليبولد جاكوب غرينبرغ (اليهودي البريطاني الذي كان مندوباً لهرتسل في بريطانيا، وأصبح عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية بعد وفاة هرتسل، من العام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧، واشترك في المباحثات التي انتهت بصدور وعد بلفور؛ كما ترأس تحرير صحيفة «جويش كرونكل» العام ١٩٠٧). سجل هرتسل في يومياته (ص ٢٥١): «بعثت غرينبرغ الى مصر. وقد وصلت منه برقية، من القاهرة، انه قد وصل الى هناك منذ يومين، وانه سيعود غداً، وان كل شيء على ما يرام. تُرى، هل نحن على أبواب أخذ ميثاق ' امتياز' بريطاني لتأسيس دولة يهودية؟». وتابع هرتسل: «عاد غرينبرغ من القاهرة بنصر عام. لقد نجح في استمالة اللورد كرومر الى قضيتنا، وأيضاً بطرس غالي ناظر الخارجية المصرية، أي وزير الخارجية، وبعض ذوي النفوذ البريطانيين، أمثال مستر بويل وكابتن هنتر». هنا تتداخل أحلام هرتسل مع الواقع، وتتداخل أمنياته مع احباطاته. فليس هناك أي دليل على استمالة كرومر، أو بطرس غالي، وان ناقشا بعض الأمور، ووضعا بعض الشروط. وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢، قرّر هرتسل ان يسافر الى مصر، لكنه عدل عن فكرته اثر برقية وصلته من غرينبرغ، في اليوم التالي لقراره: «وصلتني برقية مرضية من غرينبرغ. تحدث، أمس، مع تشامبرلن، وقال ان تشامبرلن تحدث مع لانسدون في اليوم الذي سبق اجتماع الوزارة. ينوي تشامبرلن ان يتحدث مع لورد كرومر كي يبتّ في الأمر في أقرب وقت ممكن. ينصحني غرينبرغ بأن لا أذهب الى القاهرة، بل بأن انتظر بصبر حتى يستدعيني لانسدون الى لندن، لأوقع على اتفاقية أولية».

وكخطوة تمهيدية، عرضت الحكومة البريطانية على هرتسل إيفاد بعثة فنية الى مصر لدرس المنطقة ومقدار صلاحيتها لانشاء مستعمرات سكانية؛ وفي الوقت عينه كتبت الخارجية البريطانية الى اللورد كرومر تطلب منه استقبال البعثة الفنية، ومساعدتها على القيام بمهمتها، وذلك بتمهيد الطريق أمامها في اتصالاتها بالسلطات البريطانية وبحكومة الخديوي (عباس حلمي الثاني)، مع توصيته ليكون البحث والاتصال مشمولاً بعين العطف على الأماني الصهيونية[٣٢].

وبدأ هرتسل تحركاته العملية نحو سيناء والعريش. وجمع رجال «لجنة العمل» من